

معالم ومظاهر الثقافة الدينية الشعبية في الجزائر الزوايا والأضرحة أنموذجا.

landmarks and appearances of popular religious culture in Algeria zaouias and shrines are model

بوزرينة سعيد^{1*}؛ شرف موسى².

¹ - المركز الجامعي نور البشير؛ البيض (الجزائر).

البريد الإلكتروني: saidbouzrina@gmail.com

² - المركز الجامعي نور البشير؛ البيض (الجزائر).

البريد الإلكتروني: moussa.youth@gmail.com

تاريخ الإرسال: 21/10/31؛ تاريخ القبول: 21/11/28؛ تاريخ النشر: 21/12/16

الملخص:

دأبت الدراسات الإنسانية والاجتماعية ولاسيما الدراسات التاريخية منها المهتمة بالبحث في تاريخ الظواهر الدينية في المجتمعات الإسلامية، على وصف بلاد المغرب ببلاد الزوايا والتصوف وبلاد الصالحين، وصار هذا الوصف ملازما للمجتمعات الإسلامية المغاربية - ومنها الجزائر مجال الدراسة - حتى أضحى الوصف قولا متأثرا تناقلته كتب الباحثين: "إذا كانت بلاد المشرق هي بلاد الأنبياء والرسول، فإن بلاد المغرب هي بلاد الأولياء والصالحين"، وانطلاقا من

هذا الوصف نحاول في هذه الدراسة البحث في معالم ومظاهر الثقافة الدينية الشعبية المرتبطة بالزوايا والأضرحة في المجتمع الجزائري، كنموذج عن ما هو شائع في باقي المجتمعات المغاربية، بداية من العهد العثماني، هذا العهد الذي ارتبط وصفه بالانتشار الواسع لظاهرة التصوف الإسلامي والطرقية والزوايا والأضرحة، وما ارتبط بها من ممارسات كان لها تأثير كبير على الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وعلى فئات هامة من المجتمع الجزائري، بل صارت جزءا هاما من معالم وعادات دينية راسخة في المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الزوايا؛ الأضرحة؛ الثقافة الدينية الشعبية؛ الجزائر؛ العثمانيين.

Abstract:

Human and social studies, especially historical studies, including those interested in researching the history of religious phenomena in Islamic societies, used to describe the countries of the Maghreb as the countries of zaouias and Sufism and the countries of the righteous. "If the countries of the Orient are the countries of the prophets and messengers, then the countries of the Maghreb are the countries of the saints and the righteous." Based on this description, we try in this study to research the landmarks and appearances of popular religious culture associated with the zaouias and shrines in Algerian society, as a model for what is common in the rest of the Maghreb societies, starting from the Ottoman era, this era whose description was associated with the widespread spread of the phenomenon of Islamic Sufism, tariqa, zaouias and shrines, and the practices associated with

it had a significant impact on the political, social, cultural and economic appearances and on important groups of Algerian society. Rather, it became an important part of the religious landmarks and customs well established in Algerian society to this day.

Key words: zaouias ; shrines; popular religious culture; Algeria ; ottomans.

توطئة:

تاريخ الزوايا والأضرحة في الجزائر المتعلقة بالفترة الإسلامية، يعود إلى العصور الأولى من انتشار الإسلام بالجزائر، إلا أن الفترة العثمانية منها عرفت انتشارا واسعا للزوايا والأضرحة لأسباب عدة، نذكر منها: طبيعة الحكم العثماني التي شجعت بناء الزوايا والأضرحة خدمة لمصالحها السياسية (خليل، وهيبة، 2017: 18)، فمن جهة كان استمرار الحكم العثماني في الجزائر ونجاحه مرتبط بقدرة العثمانيين على التكيف مع الوضع الاجتماعي السائد آنذاك، ومدى تقربهم من القوى الدينية ورموزها الممتلة في الزوايا والطرق وشيوخها ومن ثمّ كيفية التعامل معها نظرا لحضورها الديني والاجتماعي القوي (سعودي، أحمد، جوان 2018: 495).

ومن جهة أخرى فإن الظروف المتعلقة بالمد الصليبي الذي كان يهدد الجزائر وكذا الدور الجهادي الذي لعبته الزوايا وشيوخها في مواجهة هذا المد، رسخ القناعة لدى العثمانيين أن نجاح عملية الجهاد البحري في الجزائر، مرتبط أيضا بمدى قدرتهم على تعبئة الناس ضد الخطر الصليبي، هذه التعبئة التي

تكفل بها المرابطون وشيوخ الزوايا والطرق، التي كان لها تأثير كبير في حشد الطاقات المحلية ضد التحرشات الصليبية على سواحل ومدن الجزائر (سعودي، أحمد، جوان 2018 : ص: 496).

أمّا عن وضع الزوايا ومكانتها في هذه الفترة، فإذا ما أمعنا النظر، فإننا نجد لها كثرة ومنتشرة بقوة في المدن والأرياف في البلاد الجزائرية، ولها امتداد واسع في الجبال والصحاري، كما لها امتداد لعديد الطرق الصوفية، واعتبرت معلما هاما من المعالم الدينية في المجتمع الجزائري، ولأهميتها كانت ولا تزال قبلة للناس من كل حدب وصوب، استعملت من طرف العامة والخاصة من الناس لأغراض متعددة لها علاقة بعبادات اجتماعية وثقافية ومنافع اقتصادية وحتى سياسية لا يمكن حصرها، نظرا لامتدادها في الزمان والمكان معا. ومن هذه العادات، اعتبارها مكانا لاستقبال الفقراء والمساكين وعابري السبيل، والضيوف، ومَجْمَعاً لطلبة العلم والمريدين بالشيوخ لأخذ الأوراد والإجازات، ودورا للعلم تزخر مكتباتها بشتى المؤلفات والمخطوطات، ناهيك عن الأدوار السياسية التاريخية الهامة التي قامت بها في النيابة عن السلطة الحاكمة في البوادي والأرياف، وكانت في اغلب الأوقات الوسيط بينها وبين المجتمعات المحلية الممتلئة في القبائل والأعراش (العماري، الطيب، جوان 2014: 123).

ما ينطبق على الزوايا يسري على أضرحة الأولياء الصالحين أيضا من حيث أنها في بعض المناطق جزء هام تعتمد

عليها الزوايا في استقطاب الأتباع والمريدين وغيرهم من عامة الناس، وهي منتشرة بكثرة في البلاد الجزائرية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، (عبد القادر، دحدوح، 2016: 1153) ولها تأثير كبير في الحياة الدينية والروحية للكثير من السكان إلى يومنا هذا، وهي تستعمل كذلك لأغراض اجتماعية وثقافية واقتصادية وحتى سياسية.

وخلال العهد العثماني، وفي موضوع تقديس الأضرحة والأولياء الصالحين، تزايدت الظاهرة بشكل ملفت يدعو للدراسة والبحث في العلاقة بين السلطة الحاكمة (باعتبارها المسؤول الأول عن متابعة الوضع الديني عمومًا)، والأهالي (كفاعلين ومتفاعلين)، بالإضافة إلى دور الوسطاء الآخرين خاصة الطرق الصوفية (المشرفة على صيانة وتأطير الأضرحة والمزارات) والتي كان لها حضور قوي (دويده، نفيسة، 2015: 11-34) في توطيد علاقة عموم الناس عن طريق الأضرحة بالسلطة الرسمية. هذا وقد أوجد العثمانيون بالجزائر لأنفسهم حيزاً مهماً في مجال الممارسات الدينية، فقد أدركوا منذ البداية دور وأهمية حضور الأولياء الصالحين أحياناً كانوا أم أمواتاً في أذهان ونفوس الجزائريين، وهذا ما دفعهم لاستمالة أصحاب الطرق، وركزوا على فئة الأشراف التي لعبت أدواراً مؤثرة في مجال تهدئة الناقلين على السلطة، وتوجيه الرأي العام، وتبليغ أوامر السلطة، وهذا ما يعني التداخل الديني والسياسي في تلك الفترة (دويده، نفيسة، 2015: 11-34).

ومع كثرت الزوايا والأضرحة والمزارات وتتنوعها لم يكن ذلك عائقاً أو حاجزاً أمام السلطات العثمانية الحاكمة في الاهتمام بها ورعايتها، بل وأوعزت أيضاً الاهتمام بها إلى عامة الناس وخاصتهم من شيوخ وأشراف وغيرهم (عبد القادر، دحدوح، 2016: 1154).

تتجلى بعض صور هذا الاهتمام من خلال ما قام به بعض البشوات والبايات وغيرهم من موظفي السلطة الحاكمة، على غرار ما أنجزه الحاج أحمد داي (1106 - 1109هـ / 1695 - 1698م)، وعبيدي باشا (1136 - 1145هـ / 1724 - 1732م) حيث قام كل منهما في فترة حكمه بتجديد ضريح زاوية الولي الصالح (الشيخ عبد الرحمان الثعالبي)، علماً أن العناية بضريح هذا الولي بدأت منذ وفاته سنة 875هـ / 1470م، واستمرت إلى غاية 1142هـ / 1734م. هذا وقام الباي مصطفى بوشلاغم ما بين (1098هـ - 1146هـ / 1659 - 1830م) ببناء قبة بمستغانم وحبسها على نفسه وعلى عقبه من بعده، الأمر نفسه فعله الباي الحاج عثمان (1160 - 1170هـ / 1747 - 1757م)، بمعسكر حين قام ببناء قبة الولي الصالح الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة 1167هـ / 1753م، المعروفة بقبة الباي إبراهيم، والتي دفن فيها لاحقاً سنة (1185هـ / 1171م). كما بنى الباي محمد الكبير (1192 - 1213هـ - 1817 - 1831م) قبة الضريح لزاوية الولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني بمليانة وكذا مشهد الولي الصالح محمد بن عودة بقلية بغليزان.

والأمثلة في هذا الموضوع كثيرة (عبد القادر، دحدوح، 2016: 1153).

بالموازاة مع بناء الأضرحة وتجديدها لم يفوت حكام الجزائر العثمانيين فرصة، إلا وأظهروا معها التعاطف والتبجيل والتكريم وتقديم العطايا والامتيازات لشيخ ومعالم القوى الدينية والروحية لاسيما في أيام المناسبات والأعياد، فكانوا يلجؤون للتبرك بها أو استشارة الفاعلين منهم في بعض المسائل، بل وكانوا هم والعامّة من الناس يحتمون بها إذا اقتضت الحاجة إلى ذلك، نرى هذا المشهد في مكوث بييري راييس وعمه كمال راييس بزواوية المرابط محمد التواتي ببجاية شتائين كاملين منذ سنة 901هـ/1495م. (سعودي، أحمد، جوان 2018: 499) والأمر نفسه كان حاصلًا مع بعض الأضرحة التي كانت مأوى للفارين من السلطة الحاكمة وملجأ لهم، كضريح الزاوية الولي الصالح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الذي كان على قدر كبير من الاحترام والتبجيل، فقد كانت السلطة الحاكمة تسكت عن الفارين إليه والمحتمين به وتصفح عنهم، مهما كانت جرائمهم أحيانا، وهذا لا لشيء إلا للمكانة التي حظيت بها زاوية وضريح هذا الولي لدى الجزائريين داخل مدينة الجزائر وخارجها، لاسيما وأن موقعه في عاصمة الدولة (دار السلطان) (سعودي، أحمد، جوان 2018: 496).

نستشف هذه المكانة أيضا من خلال مذكرة حمدان بن عثمان خوجة في رسالة وجهها للمحتل الفرنسي حين أقدم على

تحطيم المعالم الدينية للكثير الزوايا والأضرحة في مدينة الجزائر، إذ يذكر فيها ويوضح قداسة الأولياء الصالحين وأضرحتهم لدى الجزائريين، فيقول: "وبمقتضى ديننا وسياستنا احترام الأولياء، وتربتهم حتى أنه من هرب إلى تربة ولي ولو كان عليه قصاص شرعي لا نخرجه من التربة بل نترصد خروجه بنفسه، احتراماً لذلك الولي، وتعظيمًا لمن أطاع الله، فهي بمثابة الجوامع في الاحترام (كذا...)" (بن زينب، أمانة، ديسمبر 2017: 55 - 56).

بعض مظاهر الثقافة الدينية الشعبية:

غالباً ما يمتاز شكل المعالم الدينية الشعبية في الجزائر بقبة أعلى الزاوية أو الضريح، يمكن للمرء مشاهدتها على بعد كيلومترات، ليعلم أن المنطقة أو المكان فيه زاوية أو ضريح لولي صالح، كما يوجد الكثير من هذه المعالم ما تكتسيها البساطة، لاسيما الأضرحة، ففي الغالب تكون قبب في مداخل المدن وفي مقابر خاصة، ذلك أن المقابر في الإسلام عادة ما تقام على بوابات المدن. ولأن الولي الصالح يكتسي مكانة خاصة في نظر الناس، فإن ضريحه يحمل قدسية في نظرهم تجعلهم يعتقدون أن له بركات وكرامات من ذلك حراسته للمدينة أو المنطقة التي يقبع بها من الأعداء والشُرور التي تترىص بالمدينة، ومن أجل هذه القدسية، دفن العديد من العلماء والمشايخ بالقرب من الأضرحة، مثل الحاج "أحمد داي" الذي دفن يمين المدخل المؤدي لضريح الولي الصالح "الشيخ عبد الرحمان الثعالبي"،

ومثله "إبراهيم باي الدولاتي"، الذي دفن قرب الولي الصالح "الشيخ الكتاني"، ودفن المفتي المالكي "أحمد زروق بن عمار" قرب ضريح الولي الصالح "عبد الله الجزائري". وما هذا إلا دليل على قداسة أضرحة الأولياء الصالحين لدى سكان الجزائر آنذاك (بن زينب، أمنة، ديسمبر 2017: 55 - 56).

إنّ المكانة التي احتلتها الزوايا والأضرحة في الثقافة الشعبية الدينية لدى الكثير من الجزائريين حكاما ومحكومين، جعلتهم ينزلونها منزلة القداسة على ما ذكرناه سابقا. يتجلى ذلك في الكثير من المظاهر التي تقام في هذه الأماكن أو حولها من ذلك:

الزيارة والتبرك بها:

وهذه الظاهرة هي جزء من الممارسات الشعبية الدينية، وهي بدورها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري المسلم، وهي متجذرة في السلوك الاجتماعي للجزائريين.

تجسدت هذه الظاهرة في مظاهر وسلوك عدة منها: تبرك الأمهات بالأولياء فأسمين أولادهن بأسماء هؤلاء الأولياء، ليعيش الأولاد ويشفى المرضى، وواظب الناس على زيارة الأضرحة وتقديم النذر وإقامة الولائم السنوية. فتحوّلت الأضرحة إلى مراكز استشفائية وسياحية، فهبّت بها المرافق الضرورية للصلاة والطهي والمبيت. واتصل الدراويش والمجاذيب بالناس للتعريف بالطريقة الصوفية وشيخها، وكذا الحصول

على الصدقات، فيقرؤون الطالع، ويدعون الله للناس بشفاعة الولي (ابن عون، بن عتو، 2001 - 2002: 1).

هذا وقد اتبع الجزائريون بعض الأساليب المتنوعة في زيارتهم للأماكن المقدسة، طبعتها طقوس خاصة منها طلب الاستشفاء بالشرب والاختسال من بئر أو عين مباركة قد تكون تابعة للضريح، أو تناول لثمار معينة وأوراق لشجر المحيطة بتربة الضريح ... أو استعمال التمامم والخلطات والعزائم والأحجية التي يقدمها للزائرين القائمين على الضريح من شيوخ الزوايا والمرابطين وأتباعهم. وتكن الطقوس عن طريق إشعال الشموع ونشر البخور لطرد الأرواح الشريرة والشياطين (دويده، نفيسة، 2015: 11 - 34).

الاحتفال على شرف الأولياء:

إن الاحتفال على شرف الأولياء ظاهرة اجتماعية قديمة مقدسة، راسخة في تقاليد المجتمع الجزائري لاعتقاد الكثير من الجزائريين ببركة الولي الصالح، وأن روحه لا زالت حاضرة بقوة في حياتهم، وينشط هذا التأثير بواسطة مجموعة من الطقوس التي تعبر في نظرهم عن القداسة، وهذه الطقوس كثيرة ومتنوعة وقد تتشابه بين منطقة وأخرى، كما أنها قد تختلف أحيانا في بعضها حسب العادات الاجتماعية الموروثة، وهذه الطقوس أيضا ترعاها مؤسسات رسمية كالزوايا والمقامات والأضرحة التي أوجدها الإسلام الشعبي كما يقول علماء علم الاجتماع، وهذا من أجل التواجد الدائم

والاستمرارية، ومن أشهر هذه الطقوس وأكثرها حضوراً في الثقافة الشعبية المتعلقة بالأولياء الصالحين ظاهرة الوعدة أو الطعم (بن حاج، جلول لزرقي، 2015، : 156).

هذه الظاهرة التي يلتزم فيها الزائر تجاه الضريح بإطعام الزائرين وإقامة الولائم أو الذبح وتقديم النقود ... فهي جزء من الطقوس التي تعد ضماناً للزائر لتحقيق المراد من الزيارة. وأحياناً تكون الزيارة وممارسة الطقوس أمراً إلزامياً في نظر العامة كونها لا تخرج عن الأعراف المتبعة في منطقة وأخرى (دويده، نفيسة، 2015: 11 - 34).

الوعدة أو الطعم مظهر من أهم مظاهر الطقوس الدينية وأشهرها في زيارة المزارات المقدسة من زوايا وأضرحة ومقامات والتي تجلب العديد من الزوار في مناسبات دورية، فصلية كانت أو سنوية، وهذه الظاهرة لها مدلولات كثيرة في الثقافة الشعبية الدينية لدى الجزائريين من ذلك أنها وعداً وتعهد بتقديم هدية للولي الصالح عند تحقق أمنية الزائر، وهي بمثابة نذر يلزم صاحبه بالعودة ثانية للولي الصالح حاملاً ما وعد به (في حال الاستجابة أو عدمها)، وتقديمه لمرة واحدة، أو بالمواظبة على ذلك عدة مرات أو بشكل دوري (دويده، نفيسة، 2015: 11 - 34).

والوعدة أو الطعم كظاهرة اجتماعية، تعكس صوراً من صور الفئات الاجتماعية المولعة بوليها من الناحية الدينية

والأخلاقية وحتى الثقافية، وكلمة الوعدة في أصلها مشتقة من الوعد الذي قطعته هذه الفئة الاجتماعية في تمجيد الولي الصالح، كما أن كلمة الطعم مرتبطة أيضا بهذا الوعد والتي لها علاقة بالإطعام الذي تحرس على تقديمه المؤسسات والمقامات والأضرحة المرتبطة بالولي الصالح وهذا الإطعام موجه بشكل عام لكل من يزور هذا الولي في مناسبات معينة وبشكل خاص للفقراء والمساكين وعابري السبيل وطلبة العلم (المريدين) (بن حاج، جلول لزرقي، 2015: 160 - 161).

عادة ما تقدم في الوعدة أو الطعم الذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات الأولياء الصالحين اعتقادا ببركتهم وجلبا للغيث تسهيلا للحرث أو حفاظا على الغلة في بداية كل موسم أو نهايته حسب اعتقاد الكثيرين من أتباع هذا الولي. وإن كانت الظاهرة تتخللها الكثير من مظاهر الشرك والبدع إلا أنها في نظرهم جزء من الثقافة الدينية الشعبية التي ورثوها عن الأجداد (ابن عون، بن عتو، 2001 - 2002: 38).

تتخلل مراحل الإعداد لهذه المناسبة بعض المظاهر المتعلقة بها كجمع التبرعات التي يشرف عليها ما يسمى بالمقاديم (جمع مقدم) وتكون مساهمات السكان أو المنطقة التي ينتمي إليها الولي الصالح أو مدفون فيها إجبارية، كما يساهم في هذه التبرعات كل من يعتقد أنه تربطه علاقة نسب أو دم بهذا الولي، ويعلن عن فعاليات هذه الوعدة وانطلاقها في الأسواق الشعبية الأسبوعية، وحين انطلاقها تستمر الوعدة بضعة أيام،

تتخللها بعض الطقوس الاجتماعية كذلك، منها أنها فرصة لأتباع الطريقة التي تتسبب للشيخ الولي الصالح المدفون بمكان إقامة الوعدة لإحياء العهد الذي بينهم على الطريقة وتجديده، وربط علاقات جديدة، ونشر أفكار الطريقة لاكتساب منخرطين جدد (بن حاج جلول لزرقي، 2015: 162- 163).

وتعقيبا منا على ما ذكرناه، نقول أنه لئن لعبت الزوايا والصالحين من الشيوخ دورا رياديا في جهاد الغزاة الصليبيين، وإعلاء راية الحق، ونشر العلم ومحاربة الجهل، ولئن طغت الأغراض السياسية ومعها المنافع والامتيازات الاجتماعية والاقتصادية على مظاهر التعامل مع الزوايا والأضرحة من طرف الحكام، وتعامل القائمين على هذه المعالم الدينية الشعبية مع السلطة الحاكمة، فإن هذا المركز وهذه العلاقة لم تخف مدى التأثير الكبير الذي أحدثته بعض التصرفات في الانحراف بعقيدة الكثير من الناس، ممن يعتقد بقدسية هذه المعالم وببركة وشفاعة الأولياء الصالحين والاستغاثة بهم، خاصة الأموات منهم وقدرتهم على قضاء حوائج الناس، بل ويعتمدون عليهم كل الاعتماد، بعيدا عن التوكل على الله عز وجل، مما قد يضر بعقيدتهم، سواء كان ذلك عن جهل منهم أو عن علم، فكان ذلك بابا عظيما من أبواب الشرك بالله سبحانه وتعالى.

وإذا كان المقام لا يتيح لنا الخوض في هذه المسألة التي فصل فيها علماء الإسلام المشتغلين بأمور العقيدة والتوحيد.

فإننا نذكر بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلوات رب وسلامه عليه من ذلك:

يقول جل جلاله في محكم تنزيله: "اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (سورة التوبة، آ: 31).

وفي قوله تعالى: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا اسْتَجِيبَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ" (سورة الأحقاف، آ: 5، 6)، وفي قوله جل في علاه: "ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ" (سورة فاطر، آ: 13 - 14).

وجاء في قوله سبحانه: "وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ" (سورة يونس، آ: 10) والآيات في هذا المعنى كثيرة وصريحة، والله المستعان.

وقول عليه صلوات الله وسلامه في أحاديث كثيرة ينهى فيها عن الشرك بالله والاستغاثة بمن دونه سبحانه من البشر وغير البشر من ذلك ما جاء في حديثه لمعاذ والذي رواه ابن عباس

رضي الله عنهما: (إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...)
 ذكره الترميذي في صحيحه وقال حديث حسن صحيح (شبكة،
 إسلام وايب، 1998: 459).
 ولله در شاعر النيل حافظ إبراهيم قوله (حافظ، إبراهيم،
 2016: 20):

أحيأونا لا يُرزقون بدرهمٍ ❖ وبألفٍ أَلْفٍ تُرزقُ الأمواتُ
 مَنْ لي بحظِّ النَّائمِينَ بِحُضْرَةٍ ❖ قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
 يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا ❖ بَحْرُ النُّدُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
 وَيُقَالُ هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى ❖ وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ.

أولاً. نماذج عن بعض الزوايا والأضرحة المشهورة في

الجزائر:

1. الزوايا والأضرحة في مدينة الجزائر:

1.1. زاوية وضريح الشيخ سيدي أحمد بلكور بمدينة

الجزائر: المعروفة بمؤسسها سيدي محمد بوقبرين صاحب
 الطريقة الرحمانية بالجزائر.

تقع زاوية سيدي أحمد شرق القصبة على بعد 4 كلم
 منها، في سفح جبال الحامة، وسط مقبرة تعرف بنفس الاسم،
 تحيط به مجموعة من الأحياء السكنية، يحده من الشرق حي
 العناصر ومن الغرب حي بلكور ومن الجنوب قمة الجبل
 المعروفة اليوم باسم ديار المحصول، ومن الشمال الأحياء

السكنية بالحامة تمّ البحر. وقع البناء في سنة 1205 هـ / 1791
- 1792 م، في عهد حسن باشا(الصورة 1).



صورة 1. زاوية الولي الصالح أمحمد بوقبرين، المئذنة. عن: إيسكار.

2.1. زاوية وضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر:

برمزية وروحية صاحب التسمية، والمكانة المرموقة والدرجة العالية التي تحظى بها من طرف المجتمع الجزائري.

تقع هذه الزاوية في شارع ابن شنب، خارج أسوار المدينة من

الجهة الغربية التي كانت تغلق أبوابها عند تأدية صلاة الجمعة، ويقال

إنّ أول تجديد لبنان هذا المقام كان سنة 1020 هـ / 1611م في عهد

مصطفى باشا، أي بعد 145 سنة من وفاة صاحب المقام، ثم وقع تجديد ثاني على يد الوكيل عبد القادر سنة 1037هـ / 1627م في عهد حسين باشا، أمّا التجديد الثالث فقد كان على يد الحاج أحمد سنة 1108هـ / 1696م، ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة 1342هـ / 1730م في عهد عبيد باشا، ويبدو أنّ هذا التجديد تمثل في زيادة مساحته بعض الشيء، وهذا ما تبيّنه أيضا الكتابة الثالثة المثبتة في الجدار الجنوبي للبيت الذي يضم الضريح. (صورة2) (محمد، بن ميمون الجزائري، 1981 : 349).

كان الضريح في السنين الأولى يتوسط المقام، وبعد عملية التجديد الذي زيد في مساحته من ناحية الشرق في الداخل، فأصبح جانبا كما هو الآن في الوقت الحاضر، يجده الزائر عن يمينه عند دخوله المقام.



الصورة2. زاوية الولي الصالح الشيخ عبد الرحمان، صورة قديمة لتابوت، عن: إيسكار.

إنَّ شعبيته الكبيرة، عبد الرَّحْمَن الثعالبي، وإجلال النَّاس له، جعلت الثعالبة يبنون على ضريحه بعد وفاته في سنة 873هـ/1471م مسجدا صغيرا وقبة، أصبح يأتيها الزوار من كل جهات الوطن محمّلين بمختلف الهدايا العينية والنقدية طلبا لبركاته وكراماته وتوسّطه لتحقيق آمالهم وأحلامهم في الشفاء من الأمراض والتّجّاح أو في الرّوْاج أو بحثا عن الطمأنينة والسّعادة والرّزق وراحة النَّفس بحيث اعتبروه مولى "البهجة" وحارس البلاد من الحساد والاعتداءات الأجنبيّة المسيحية(سعد الله، فوزي، 2007: 62).

ولم يبق الشيخ عبد الرَّحْمَان وحيدا في هذا المكان، بحيث جاوره المعجبون من خيرة أهله وصلاح المدينة الذين أوصوا بدفنهم في مقبرته الصغيرة المحاذية للمسجد والضريح، فبالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا من شخصيات الحاكمة والعلماء نجد أيضا، الشعراء، مؤرخين، فنّانين وأبطال أسطوريين، وأبرز هؤلاء، ابنته "لالة عايشة"، وأستاذه العالم الكبير سيدي بوجمعة، وسيدي الولي داده الذي توفّي في سنة 952هـ/1545م التي نقلت السلطات الاستعمارية رفاتة من شارع الديوان بالقصبة السفلى خلف جامع كتشاوة إلى مقبرة سيدي عبد الرَّحْمَان في سنة 1281هـ/1864م، وكذلك سيدي منصور الذي كان مدفونا عند مدخل باب عزون منذ 1055هـ/1645م وحوّلت رفاتة هو الآخر إلى نفس المقبرة سنة 1263هـ/1846م وأيضا خيدر باشا، الحاج

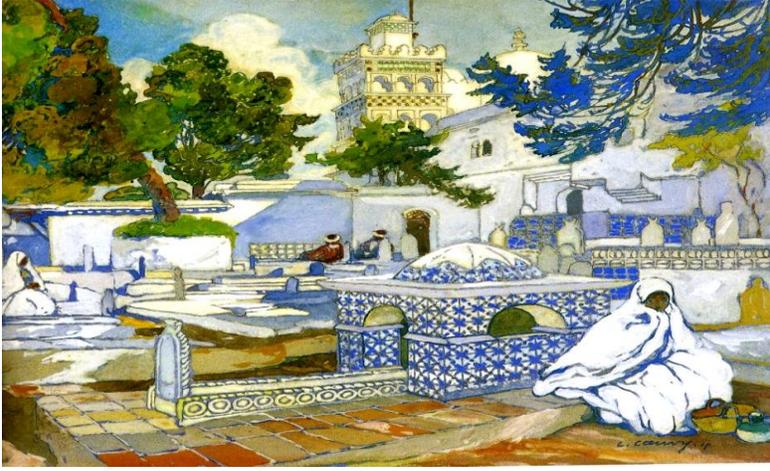
أحمد باي قسنطينة، سيدي عبد الله يوسف باشا، سيدي واضح، أمّا الداى حسن باشا وابن أخيه مصطفى باشا وكذلك الداى أحمد فقد دفنوا مباشرة بمحاذاة قبره، وقرب المحراب يوجد كذلك قبر الأميرة "روزة"، بنت الداى حسن باشا. وأبرز المعاصرين الذين اختاروا مجاورة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بعد موتهم هو المؤرخ و وزير الأوقاف بعد الاستقلال الأستاذ أحمد توفيق المدني. (الصورة3) (سعد الله، فوزي، 2007: 63).

الجدير بالذكر أنه تواجدت العديد من الأضرحة المرابطين والصالحين، والأشراف بمدينة الجزائر وضواحيها، وكثير منها كانت لها أراض للوقف، كانت المصدر الأول في تمويلها، وتأتي في مقدمة أوقاف الأولياء، أوقاف الولي الصالح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، ب: 69 وقفا وقد قدرت قيمت ما كانت تدره هذه الأوقاف على الضريح في السنوات الأولى للاحتلال بستة آلاف فرنك (6000) كمدخول سنوي، تنفق على القائمين على الضريح، وقسم منها كان يوزع على فقراء المدينة كل يوم خميس بمقدار فرنك واحد (01) إلى ثلاث فرانكات لكل فرد (03).

هذا وقد بلغ عدد الأضرحة في مدينة الجزائر وحدها إبان الحقبة العثمانية 19 ضريح خارج المدينة و 01 داخلها، وكلهم لهم أرض وقف بمدينة الجزائر (بن زينب، أمنة، ديسمبر 2017: 57).

أما اليوم فقد كشفت الدراسات الأنثروبولوجية الأكاديمية الحديثة والتي اهتمت بالمعالم الدينية الشعبية في الجزائر أن الجزائر تتوفر على 75 ألف ضريح موزعة كامل التراب الجزائري، منها ما هو تابع للزوايا أو منفرد لوحده، ومن هذه الأضرحة، منها 6 آلاف ضريح تخص الأولياء الصالحين الأكثر شيوعا وتأثيرا في المجتمع الجزائري، يتصدرها ضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي. أما عن المداخل السنوية لهذه المعالم فهي تقدر بين 300 و800 مليون سنويا، ومصدرها إما الأوقاف التي تتبع هذه الأضرحة خاصة المرتبطة منها بالزوايا أو المناسبات السنوية الدينية التي تقام على شرف هذه المعالم. (الشروق، أونلاين دراسة حول المزارات: مارس 2016).

وعليه إن دل هذا عن شيء فإنما يدل على التأثير الكبير لهذه المعالم في الحياة الدينية للكثير من الجزائريين، ليس هذا فقط بل أيضا يعكس أيضا الأرباح التي تجنيها المؤسسات الفاعلة المشرفة على هذه المعالم من زوايا وطرق وجمعيات وهيئات أخرى رسمية... وتوظيفها في التأثير على العامة من الناس والخاصة منهم أحيانا، في صور أقل ما يقال عنها توظيف المقدس لأغراض اجتماعية ثقافية وسياسية واقتصادية.



الصورة 3. زاوية الشيخ عبد الرحمان، لمقبرة. عن: فويال.

2. الزوايا والأضرحة في الغرب الجزائري:

1. زاوية وضريح الشيخ أحمد بن يوسف بمليانة ولاية عين الدفلى، الطريقة اليوسفية:

تقع الزاوية بمدينة مليانة قرب مسجد الشيخ أحمد بن يوسف
المسمى بنفس اسم الزاوية، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي
130 كلم.

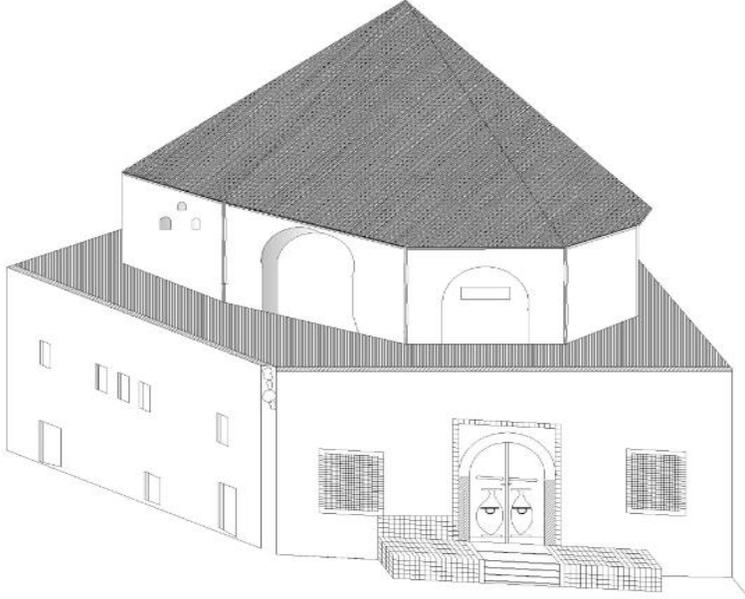
وحسب الأساطير، فإن موقع الزاوية لم يكن من اختيار سكان
مليانة، لكن من اختيار بغلة أحمد بن يوسف، التي أقبلت في يوم من
سنة 981هـ/1524-1525م، إلى مدينة مليانة، وهي تحمل جثة صاحبها،
فوقفت ببطحاء القمامة العمومية على هامش المدينة وبركت، فهرع

إليها المليانيون، واقبروا الجثة، والبلغلة بجانبها بعد أن ماتت، ودقنت معهم أيضا خادمة الولي، وهذا عملا بوصية الشيخ أحمد بن يوسف نفسه (Dermenghen, (E.), 1954, 226). وعليه صار المكان بعد ذلك ضريحا للولي الصالح الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، بنيت عليه زاوية حملت اسمه أنظر (الصورة: 4).

أمّا مؤسس الزاوية هو محمد بن عثمان الكردي، باي وهران، من أشهر بآيات منطقة الغرب، حكم سنة (1192- 1213هـ/ 1774 - 1797م) (الشكل 1) (جمال، سويدي، 2007: 96).



الصورة 4: صورة زاوية وضريح الشيخ الولي الصالح أحمد بن يوسف بمليانة.



الشكل 1. زاوية الشيخ أحمد بن يوسف - مدينة مليانة.

إن شهرة الولي الصالح الشيخ أحمد بن يوسف الملياني في الغرب الجزائري لا تقل شهرة عن أولياء صالحين آخرين معروفين بالغرب الجزائري، أمثال: الولي الصالح سيدي إبراهيم: نسبة إلى الشيخ العالم أبو إسحاق أحد شيوخ الإمام بن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 805هـ، والذي حضر جنازته السلطان الواثق، ودفن بروضه آل زيان من ملوك تلمسان. وكذا ضريح الولي الصالح الشيخ محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الملقب بـ "الإمام السنوسي"، نسبة إلى الشيخ الإمام السنوسي المولود بين سنتي 832هـ - 838هـ، ودفن وهران.

كما نذكر ضريح الولي الصالح ابن مرزوق الحفيد: نسبة إلى الإمام القطب العالم محمد بن أحمد المعروف بابن مرزوق الحفيد، العجيسي التلمساني، المتوفى سنة 842هـ، دفن الجامع الأعظم بتلمسان، وقد أنشأ يغمراسن بن زيان الضريح الذي دفن فيه بوقت قصير بعد وفاة محمد ابن مرزوق، حيث أقدم يغمراسن وقتها على توسعة المسجد وبناء المنارة، وهو يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للمسجد الأعظم بتلمسان (مهتاري، فائزة، 2008: 193-196).

لقد بلغت شهرة هؤلاء وغيرهم من الصالحين أصحاب الأضرحة الآفاق داخل الجزائر وخارجها، إلا أن أشهرهم على الإطلاق هو الولي الصالح أبي مدين شعيب دفن تلمسان، وضريحه المعروف بضريح سيدي أبي مدين، نسبة للشيخ شعيب ابن الحسين الأنصاري الأندلسي المعروف باسم أبي مدين كما كان يسميه سكان الجزائر، وهو من أعيان مشايخ المغرب، وأصله عربي من اشبيلية من الأندلس، المولود بتاريخ 520هـ/1126م بقرية تدعى قطيانة، كان ذلك أواخر العهد المرابطي وأوائل العهد الموحيدي. توفى سنة 594م. أما عن تجديد الضريح، كان سنة 1208هـ/1793 على يد والي وهران محمد باي، بعد أن تعرض الضريح للحريق. (مهتاري، فائزة، 2008: 189-192) (الصورة:5).



الصورة 5: ضريح أبي مدين شعيب من الداخل.

3. الزوايا والأضرحة في الشرق الجزائري:

1.3. زاوية باش تارزي بمدينة قسنطينة، الطريقة الرحمانية:

تقع هذه الزاوية بحومة الشارع من حي باب القنطرة، وتفتح على شارع رئيسي كان يربط بين سوق التجار ورحبة الصوف وباب القنطرة. وتعرف هذه الزاوية بعبد الرحمان باش تارزي نسبة إلى مؤسسها وهو العلامة الفقيه الأديب المربي الحاج عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن ماشيش باش تارزي، نشأ في قسنطينة، وأخذ العلم من علمائها وعلماء جامع الزيتونة بتونس حتى تمكن من العلوم الشرعية والأدبية، ثم أخذ تربيته الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان إمام الطريقة الرحمانية الخلوتية، أسس الزاوية الرحمانية بقسنطينة، وللشيخ أشعار وموشحات جلها في التصوف " غنية المريد في شرح مسائل التوحيد الصادر عن مطبعة العربية التونسية سنة 1904م، والمنظومة الرحمانية

في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية التي شرحها ابنه وخليفته الشيخ مصطفى، شرحا في غاية الجودة والتحقيق بحيث أصبح يعد أهم مرجع للتعرف على التربية في الطريقة الرحمانية، وهي تتألف من 700 بيتا، وقد أعيد طبعها وطبع شرحها عدة مرات (الصورة 6) (عبد الباقي، مفتاح، 2004: 100).

أما عن أشهر ضريح بمدينة قسنطينة هو ضريح الولي الصالح محمد الغراب: والذي يقع بزاوية الشيخ محمد الغراب بقرية الصالح باي والمعروفة باسم "الغراب"، على بعد 6 كلم من مدينة قسنطينة. ولعل الضريح كان بناؤه على عهد الصالح باي، ولا يزال الضريح محل اهتمام الكثير من الزوار في الأيام والمناسبات للتبرك وطلب قضاء الحاجات، وتقديم الذبائح، وإشعال الشموع. هذا وقد دفن بالقرب من هذا الضريح 12 فردا من عائلة ابن جلول المعروفة بقسنطينة والتي تعود إلى حوالي القرن 13 هـ / 19م، وإلى القرن 14 هـ / 20م، وهنا لا بد أن ننوه إلى أن الشرق الجزائري كذلك به الكثير من أضرحة الأولياء الصالحين على غرار: ضريح الولي الصالح إبراهيم بن تومي: الذي ينسب إلى الشيخ القطب الولي الصالح المجاهد إبراهيم بن التومي المرادسي الهلالي، المتوفى سنة 1087 هـ / 1676م، وهو يقع بوسط مدينة عنابة، وقد قام علي باي تونس في سنة 1122 هـ / 1769م ببناء الضريح على قبر الشيخ إبراهيم بن التومي حسب ما ورد في اللوحة المنقوشة المثبتة على مدخله، هذا وأضيفت العديد من التجديدات والإصلاحات على الضريح من ذلك القبة الجديدة بجوار القبة الأصلية وفيها تم إعادة

دفن رفات صاحب الضريح بعد أن تحول المعلم إلى مسجد، فضلا عن إضافة سدة، وقاعة للوضوء(عبد القادر، دحدوح، 2016: 1154 - 1156). كما يعد ضريح الولي الصالح الشيخ السعد بن أبي بكر: واحد من الأضرحة المعروفة في شرق الجزائر وهو ينسب للشيخ الولي الصالح السعد أبي بكر حسب ما ورد في اللوحة المثبتة فوق الضريح، وهو يقع بمدينة سوق أهراس، ويشبه إلى حد كبير ضريح الولي الصالح إبراهيم بن تومي بعنابة من حيث الشكل والزخرفة. ومن الأضرحة نذكر أيضا ضريح الزاوية الحسينية بسيدي خليفة: وهو ينسب للشيخ الولي الصالح الحسيني بن الصالح بن أبي محمد عبد الله، أصل عائلته من أشرف المغرب، والضريح يقع بالزاوية الحسينية ببلدية سيدي خليفة بولاية ميلة، هذه الزاوية التي تأسست على يد الشيخ الحسيني سنة 1220هـ - 1805م أي بعد عامين من قدومه إلى بلدية سيدي خليفة(عبد القادر، دحدوح، 2016: 1155 - 1157).



الصورة 6. زاوية باش تارزي، مدينة قسنطينة.

4. الزوايا والأضرحة في الجنوب الجزائري:

1.4. الزاوية العثمانية بطولقة بمدينة بسكرة: والمعروفة أيضا بزاوية علي بن عمر وهي على الطريقة الرحمانية، والمشهورة كذلك بمكبتها التي تعتبر مقصد وطريق الباحثين إليها، والتي تعتبر من أهم المعالم الثقافية في الجزائر وفي المغرب العربي الإسلامي بما تحتويه من مطبوعات ومخطوطات في شتى العلوم والمعارف. تقع الزاوية في خارج باب البناء الغربي لمدينة طولقة القديمة الغنّاء على الطريق المؤدي لبلدة برج بن عزوز، وكان مكان الزاوية يسمى "حارة الهبرة".

تاريخ التأسيس:

عندما بلغ الشيخ علي بن عمر حوالي 26 سنة من عمره طلب منه شيخه محمد بن عزوز تأسيس الزاوية وذلك سنة 1194هـ/1780م، ومنذ ذلك الوقت وهي تحمل أمانة واجب الدعوة إلى الله والحفاظ على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إضافة إلى دورها التاريخي والاجتماعي (صلاح مؤيد، عقبي، 2002: 394) (الصورة 7).



صورة 7. الزاوية العثمانية حديثا، بسكرة.

مكتبة الزاوية:

تعتبر مكتبة (العائلة العثمانية) بطولقة من أهم المعالم الثقافية في الجزائر وفي المغرب العربي بما تحتويه من مطبوعات ومخطوطات في شتى العلوم والمعارف حيث يوجد فيها أكثر من 52 تفسيرا وكتب التجويد والتفسير والناسخ والمنسوخ والدراسات القرآنية وفي علوم الحديث وهناك أيضا شرائح البخاري ومسلم والمسانيد ودراسات عنه، وكتب الفقه وأصوله وتاريخ التشريع، وعلوم اللغة العربية والأدب في النحو والصرف والمعاني والبديع والدواوين، وكتب الأدب المتنوعة لكبار الكتاب القدماء والمعاصرين.

إن مكتبة زاوية طولقة من الكنوز التي يقل نظيرها، وأول من أسسها وغرس بذورها الأولى الشيخ علي بن عمر بن عثمان، ثم توالى عليها أيادي شيوخ الزاوية (علي رضا، الحسيني، دبت: 15).

وبهذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم عوفي من معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة بالجزائر في تقرير حول المخطوطات في الجزائر قدمه في اجتماع الهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي الذي نظّمه معهد المخطوطات العربية في القاهرة يومي 18 و19 ديسمبر سنة 1996م: "خزانة الزاوية العثمانية (علي بن عمر) في طولقة ولاية بسكرة، تعد من أغنى الخزانات في منطقة بسكرة، بل الجزائر عامة، وقد كان للزاوية العثمانية دور رائد في الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن العشرين، إذ تخرج فيها جمهرة من العلماء، وتحفظ اليوم بمخطوطات في شتى الفنون المعرفة الإنسانية، وقد

حرص شيوخها على الحفاظ عليها وتمكين الباحثين والدارسين من الوقوف عليها، فهي تشمل مخطوطات في علوم القرآن، والفقه، واللغة، والأدب والمعاجم، والتفاسير، والحديث، والجغرافيا، والتراجم، والسير... وقد أدرجت هذه الزاوية ضمن اهتمامات مشروع إحياء التراث لأن مخطوطاتها تحتاج إلى فهرسة علمية، ليستفيد مريدوها منها وعلى متطلبات بحوثهم بسرعة، ولأنها مازالت تؤذي دورها التعليمي والتثقيفي في المنطقة...." (علي رضا، الحسيني، د.ت): (25).

ومن المخطوطات المحفوظة فيها:

- ◀ روضة الأنوار ونزعة الأخبار، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، انتهى في تأليفه عام 836هـ/1432م، ناسخه مصطفى بن العربي، لم يذكر فيه تاريخ النسخ، والكتاب في ثلاث مجلدات كبيرة.
- ◀ شرح الشيخ محمد بن عزوز البرجي على منظومته (رسالة المريد)، ناسخها مسعود بن سعيد البوزيدي، عدد أوراقها 20 ورقة.
- ◀ رسالة فتح الباب عني وتسمى أيضا علامة فتح البصيرة للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ناسخها أبو العباس بن محمد البوسعادي، عدد أوراقها 100.
- ◀ شرح ألفية ابن المعطي في النحو من تأليف عبد العزيز بن جمعة النحوي الموصلي، ناسخها علي بن عبد الله الأنصاري الشافعي.
- ◀ الذرة المنتخبة في الأدوية المجربة، للشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي، ناسخها محمد الشريف بن المحجوبة، في 40 ورقة.

◀ المنهج السلوك في سياسة الملوك، للشيخ عبد الرحمن بن نصر

المتوفى سنة 589هـ/1193م.

◀ اللّغة للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي.

◀ الشهبوب المحرقة للشيخ برناز.

◀ الدرر على الغرر في الفقه المالكي.

◀ نور الدين في الرد على المبتدعين، لمحمد بن عبد الله الجزري

الشافعي المنصوري.

◀ شرح النصيحة الزروقية، لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري(علي

رضا، الحسيني، (دت: 36-37).

2.4. زاوية عين ماضي بالأغواط: تعرف هذه الزاوية بالزاوية التيجانية

نسبة إلى مؤسسها أحمد التيجاني. تقع هذه الزاوية في الركن الجنوبي

الشرقي لقصر عين ماضي، على الجهة اليمنى من المدخل الرئيسي، أو

ما يعرف بالباب الكبير(الصورة 8).



الصورة 8 زاوية عين ماضي، الأغواط.

وهذه الزاوية هي الزاوية الرئيسية للطريقة التيجانية، فهي تقع في مسقط رأس مؤسس الطريقة التيجانية ويوجد بها أضرحة أبناء وأحفاد الشيخ التيجاني، تأسست ما بين 1197هـ/1782م و1211هـ/1796م، ثم أضاف لها ابنه محمد الطيب (ابنه الأصغر) قاعات لتدريس القرآن وأجنحة للفقراء والمساكين (الصورة 9).

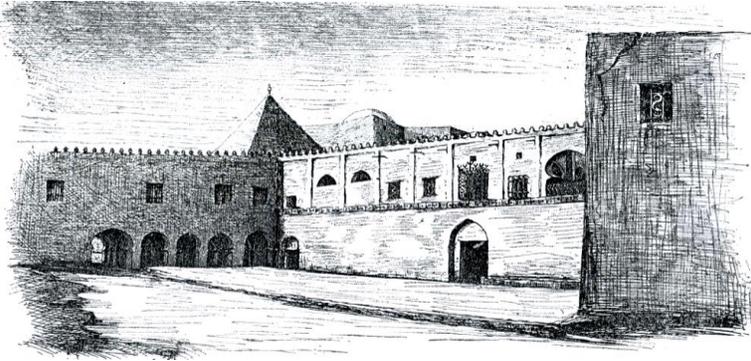


الصورة 9 عين ماضي بالأغواط - منزل مسقط سيدي أحمد التيجاني.

قامت الزاوية التيجانية بدور معتبر في ترقية وازدهار القصر (قصر عين ماضي) حيث اعتبرت مركز إشعاع يؤم إليه الوافدون من مناطق مختلفة للتزود بالعلم وأصول الدين، وبلغت قمة انتشارها في إفريقيا على يدي أتباعها ومريديها، كما استطاعت أن توطن دعائمها بالقطر الوطني وذلك بإنشاء زوايا أخرى في كل من تماسين بتقرت وقمار بالوادي وبوسمغون بالببيض، وإقليم توات (علي، حملاوي، 2006: 225، 226؛ خليل، النحوي، دت: 123).

3.4. زاوية قمار بوادي سوف: تعد أول الزاوية التيجانية وأقدمها من حيث التأسيس، بنيت بإيعاز من الشيخ أحمد التيجاني. هذا ويعد الشيخ محمد الساسي القماري أول من أدخل تعاليم الطريقة التيجانية إلى وادي سوف، حيث أخذ من الشيخ التيجاني مبادئ الطريقة وحملها إلى أبناء قومه بقمار. (الشكل 2) (عبد العزيز، شهبي، 2007: 142- 143) . وتقع الزاوية على المحور القادم من بسكرة على بعد 15 كلم من مقر ولاية وادي سوف في الجهة الشمالية الغربية، وهي واحة صحراوية أيضا تقع على العرق الشرقي للجزائر.

أمّا مؤسسها، هو الحاج علي بن عيسى، ولد سنة 1180هـ/1766م بتماسين، تولى الخلافة سنة 1230هـ/1815م، أسس الزاوية بأمر من الشيخ الأكبر أحمد التيجاني، توفي يوم الثلاثاء 22 صفر 1260هـ/12 مارس 1842م، أما ضريح الشيخ، فقد بناه نجله الشيخ محمد العيد الأول عام 1284هـ/1868م (حديبي، محمد 2011/2012: 80- 83).



الشكل 2. زاوية قمار، وادي سوف. عن: كزافيي كبولاني.

4.4. زاوية بوسمغون بالبيض: تعرف هذه الزاوية بالزاوية التيجانية نسبة إلى مؤسسها أحمد التيجاني، حيث يوجد بها خلوته، وهي بذلك تنصدر زوايا الغرب والجنوب الغربي(منى، دحمون، 2005/2004: 45 - 50).

تقع الزاوية في الركن الشمالي الغربي لقصر بوسمغون، وتوجد في الحي المعروف "أعرم أقدم"، وهو أحد الأحياء العريقة بالقصر، تطل شرفاتها على الواحة الخضراء.

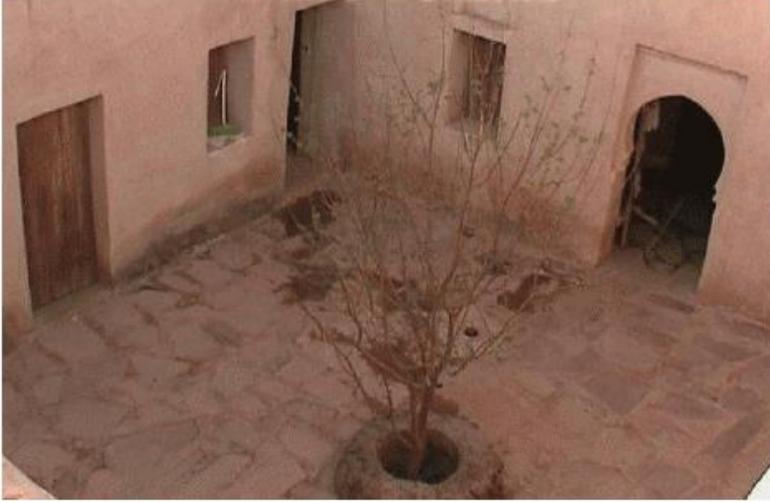
شيدت هذه الزاوية في عهد الشيخ أحمد التيجاني، في القرن الثالث الهجري/التاسع عشر الميلادي، اتخذها الشيخ كمكان للتعبد، ونشر التعليم الديني بها، مما جعلها تشتهر لدى سكان القصر باسم المدرسة والزاوية في نفس الوقت.

وتستمد مكانتها من كونها مهد الطريقة التيجانية، ففيها وقع للشيخ التجاني الفتح الرباني كما قال، ويوجد بها خلوته، وتتبع مباشرة لزاوية عين ماضي بحكم موقعها.

ومنذ إعلانه عن طريقته الجديدة في قرية بوسمغون، ألفت حوله الأتباع منهم المقدم محمد بن العباس، وأحمد بن عبد الرحمان، وأبو القاسم بن يحيى ومحمود بودواية... الخ.

فكان هؤلاء النواة الأولى لأتباع الشيخ أحمد التجاني في تلك القرية، التي اكتسحت أهمية كبرى، حيث تعد مهد الطريقة التيجانية، ففيها وقع الفتح للشيخ التجاني، ومنه انطلق لينشر تعاليم

طريقته الجديدة. (الصورة 10) (الصورة 11، 12، 13) (محمد، نسيب، دت:
217 - 227).



الصورة 10 زاوية بوسمغون، البيض.





صورة 11، 12، 13. خلوة الشيخ أحمد التيجاني بالزاوية، البيض.

خاتمة:

تعد الزوايا وأضرحة الصالحين من معالم الثقافة الدينية الإسلامية الشعبية في الجزائر، ضاربة جذورها في تاريخ المجتمع الجزائري، تعود إلى الفترات الإسلامية السابقة للفترة العثمانية، غير أن الفترة العثمانية كانت الأكثر زخما ونشاطا وانتشارا لهذه المعالم، فقد نشط فيها التصوف والطرقية بشكل كبير، لاسيما في البدايات

الأولى للتواجد العثماني، أين حمل المرابطون وشيوخ الزوايا والطرق رايات الجهاد ضد الغزو الصليبي، كما حملوا لواء العلوم الدينية في وقت خملت فيه الحياة العلمية وأنشطتها ومعالمها، التي كانت في وقت غير بعيد من العهد العثماني منارة للتطور والحضارة في بلاد المغرب الوسيط على عهد الحماديين والزيانيين. هذا وقد استغل العثمانيون الفرصة لتوطيد صلتهم بشيوخ الطرق والزوايا والمرابطين والصالحين، لما علموا تأثيرهم الروحي واجتماعي على العامة. وحتى تتقوى سلطتهم وتترسخ في الجزائر منحوهم امتيازات وصلاحيات وأنزلوهم منزلة القداسة التي كانت اعتقادا راسخا عند العامة، فبنوا لهم الأضرحة، أصلحوا بعضها، وجددوا الزوايا وشجعوا شيوخها الموالين لهم، وساهموا في إحياء التظاهرات الدينية التي كانت تقام عند عدد من هذه المعالم من مواسم وزيارات وغيرها من مظاهر الالتفاف حول المقدس عند العامة، سواء كان زاوية أو ضريحا أو شيخا مرابطا، أو مشعوذا، بل وكانت السلطة العثمانية الحاكمة تسكت عن الكثير من المظاهر الشرك والبدع التي كانت تقام عند هذه المعالم والتي لا تمت إلى الإسلام بصلة، مما كان سببا في التفاف العامة حول السلطة الحاكمة وعدم التمرد عليها، لاعتقاد العامة بتبجيل السلطة لمعالهم الدينية ومقدساتهم، ومع الوقت تقوت هذه الممارسات وصارت عادات وجزءا هامة في الثقافة الدينية الشعبية عند الكثير من الجزائريين.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - حافظ إبراهيم، (16 سبتمبر 2006) قصيدة أحيائنا لا يرزقون بدرهم، بوابة الشعراء، شعراء الفصحى في العصر الحديث، القوائد 60429، مصر، بواسطة المشرف العام، <https://poetsgate.com/poem.php?pm=8050>
- 2 - حديدي محمد، (2012/2011) الزوايا التيجانية بالجنوب الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- 3 - الحسيني علي رضا (د.ت)، زاوية علي بن عمر، الجزائر.
- 4 - حملاوي علي (2006)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
- 5 - خليل وهيبة، (30/06/2017، "أضرحة وزوايا مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية" (جرد وإحصاء)، مجلة البحوث والدراسات العلمية، المجلد 11، العدد 1، جامعة يحي فارس، المدية، ص ص: 189- 235.
- 6 - دحدوح عبد القادر، (01 ديسمبر 2016)، "الأضرحة بالجزائر خلال العهد العثماني، دراسات في آثار الوطن العربي، "حولية الإتحاد العام للآثاريين العرب"، المجلد 19 العدد 19، ص ص: 1146- 1180.
- 7 - دحمون منى، (2005/2004)، قصر بوسمغون بولاية البيض، مذكرة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر
- 8 - دويبة نفيسة، (2015)، "المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية"، مجلة إنسانيات، العدد 68، كراسك (CRAS)، وهران، ص ص: 11- 34.
- 9 - بن زينب أمينة، (ديسمبر 2017)، "واقع المقابر والأضرحة بمدينة الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية 1830 - 1851م"، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات

- التاريخية، المجلد 03، العدد 06، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس، ص
ص: 44- 65.
- 10 - سعد الله فوزي، (2007)، قصبة الجزائر، الذاكرة الحاضر والحواطر،
الجزائر.
- 11 - سعودي أحمد، (جوان 2018)، "علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في
الجزائر 1519 - 1830م"، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد، العدد 11،
جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ص: 494 - 511.
- 12 - سويدي جمال، (2007)، الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر القديم
القديم إلى 1830م)، الجزائر، منشورات التل.
- 13 - شبكة إسلام ويب، (21 فيفري 1998)، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا
سألت فاسأل الله، الحديث التاسع عشر حديث صحيح حسن، رواه الترميذي،
حديث المكتبة الإسلامية، جامع العلوم والحكم، 459 - 460،
[https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookco
ntents&ID=109&flag=1&bk_no=81](https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=109&flag=1&bk_no=81)
- 14 - الشروق أونلاين، (03 مارس 2016)، 6 آلاف ضريح تدر الملايير
..والوجهة مجهولة - دراسة حول المزارات، العدد، 17613، الجزائر،
<https://www.echoroukonline.com>
- 15 - شهبي عبد العزيز (2007)، الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي
في الجزائر، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- 16 - العماري الطيب، (جوان 2014)، "الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر،
التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي"، مجلة الباحث في العلوم
الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 15، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص-
ص 123 - 140.

- 17 - ابن عون بن عتو، (2001- 2002) **الجدور التاريخية لظاهرة التبرك بالأولياء في المجتمع الجزائري**، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان.
- 18 - لزرق بن حاج جلول، (مارس 2015)، "قراءة أثرولوجية حول ظاهرة الطعم أو الوعدة" واعدة سيدي أحمد بن عودة بغليزان نموذجاً"، **الحوار الوثائقي**، المجلد 4، العدد 1، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص ص: 156-162.
- 19 - مفتاح عبد الباقي، (2004) **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوئية**، الجزائر.
- 20 - مهتاري فائزة، (ديسمبر 2008)، "أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية"، المجلد 1، العدد 0، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص ص: 189 - 206.
- 21 - مؤيد العقبى صلاح، (2002)، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، بيروت، دار البراق.
- 22 - ابن ميمون الجزائري محمد (1981)، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 23 - النحوي خليل (د.ت)، **بلاد شنقيط**، الرباط.
- 24 - نسيب محمد، (د.ت) **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، الجزائر.
- 1-Dermenghen,(E.), **Le Culte des sains dans l'islam magrébin**, Gallimard, Paris, 1954.
- 2-Esquer (G.), **Iconographie histoire de l'Algérie de puis le xiv siècle jusqu'à 1870**, Paris, 1930.

